المشرق العربي من خلال جريدة الأمة لأبي اليقظان

(١٣٥٢ – ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٣ – ١٩٣٨م)

خيري الرزقي

أستاذ التاريخ بالتعليم الثانوي
باحث دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر
ولاية المسيلة – الجمهورية الجزائرية

بيانات الأطروحة

أطروحة ماجستير
المشرق العربي من خلال جريدة الأمة لأبي اليقظان
كلية العلوم الإنسانية – قسم التاريخ

إشراف
أ.د. أحمد رضوان شرف الدين
جامعة الجزائر (٢)

الجزائر ٢٠١٣
٣٦٨ صفحة

كلمات مفتاحية:

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.12816/0047325 DOI

الصحافة الجزائرية، قضية فلسطين، الوحدة العربية، الصحافة الإصلاحية، الشيخ أبو اليقظان

مقدمة

إن صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان ذات مكانة خاصة في تاريخ الصحافة العربية عمومًا والجزائر خصوصًا، ذلك لأنها غطت طيفًا عريضًا من المواضيع، والتي من بينها ما تعلق بتطور الأوضاع في المشرق العربي في فترة ما بين الحربين، ومن أطول جرائده عمرًا وعددًا كانت جريدة "الأمة" التي صدرت في (١٧٠) عددًا والتي جاءت حافلة بآلام وآمال الدول العربية. وهي الأخرى غطت فترة حرجة للغاية قبيل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٣-١٩٣٨) أين تسارعت الأحداث بشكل واضح، ومن خلالها أراد الشيخ أبو اليقظان إثبات أن هذا الوطن واحد بجناحيه المشرقي والمغربي وفضح المؤامرات الخارجية عنه واطلاع القارئ في المغرب العربي على أحوال إخوانه في المشرق.

إن دوافع اختيار هذا الموضوع يعود إلى اهتمام الباحث بالصحافة الإصلاحية في الجزائر، ومن بينها صحافة الشيخ أبو اليقظان الصحفي المنتسب إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمدافع عن حزب الشعب الجزائري وزعيمه، كما أن جريدته الأمة كانت منبرًا لأسماء مشهورة في عالمي الفكر والسياسة مثل عبد الحميد بن باديس، ومصالي الحاج، ومبارك الميلي، ومفدي زكريا، وشكيب أرسلان، وأمين الحسيني وغيرهم، ويمكن أن نلخص أسباب اختيار العنوان في النقاط الآتية:

- كون المشرق شهد فترة تحول وصراع مع الأجانب في فترة ما بين الحربين أين تسارعت القوى الأوربية إلى تجسيد وصايتها وسيطرتها على المنطقة.
- تسارع الأحداث عبر أرجاء المشرق العربي باتجاه المزيد من التقسيم وخاصةً في فلسطين.
- كون المشرق العربي يمثل الطرف الأساسي في معادلة التحرر العربي.
- اهتمام صحافة المشرق العربي بقضايا المغرب العربي، فأردت إبراز العلاقة العكسية بالنسبة للصحافة العربية في الجزائر ومدى مساهمتها في التعريف بقضايا المشرق.
- تسليط الضوء على مكانة المشرق العربي في جريدة الأمة فقط، ودرجة اهتمامها بقضايا المسلمين خاصةً وأن هذه الزاوية مازالت بكر في الدراسة ولم تحظ بدراسات أكاديمية مختصة حسب علمنا.
- قلة البحوث الأكاديمية التي تتعلق بالجانب الصحفي لأبي اليقظان، حيث ما يوجد منها يتعلق بالدراسات في مجال الإصلاح والشعر والنثر...إلخ.

أما عن أسباب اختيار جريدة "الأمة" لكي تكون المصدر الأول لمادة هذا البحث فيمكن أن نوجزها فيما يلي:

- أن جريدة الأمة وعلى الرغم من أهمية تغطيتها لفترة البحث لم تحظ بدراسة تاريخية أكاديمية، هذا ما دفع الباحث إلى

اختيارها بالاتفاق مع الأستاذ المشرف وبعد طول مشاورات والبحث عن مكان توفرها.

- الفترة الحساسة جدًا التي صدرت فيها وهي فترة ما بين الحربين التي مر بها الوطن العربي مغربًا ومشرقًا، وبالتالي فهي حتمًا ستكون مادتها دسمة في هذا المجال.
- كتب بها كبار المصلحين الجزائريين ورجال السياسة منهم ابن باديس، وفرحات عباس، ومصالي الحاج، ومفدي زكريا...الخ.
- مناصرتها لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب الجزائري.
- كتَبَ بها مفكرون من الوطن العربي منهم الأمير شكيب أرسلان، وخير الدين الزركلي، والرافعي، ومحب الدين الخطيب، وشيخ الأزهر، وحسن الزيات، وإيليا أبو ماضي، والباروني، وأمين الحسيني وغيرهم كثيرون، فقد كانت منبرًا لهؤلاء المشارقة.
- عبّرت بشكل صريح وموسّع عن قضايا المشرق العربي.
- جريدة الأمة أطول جرائد إبراهيم أبو اليقظان (١٧٠ عددًا) وهذا ما ساعد على التطرق إلى مواضيع وقضايا المشرق بشكل أوسع وتغطية فترة أطول.
- جريدة الأمة هي سابع جرائد أبي اليقظان، وهذا ما جعله يتمتع بخبرة صحفية أكثر.
- معظم كُتَّاب جريدة الأمة من تيار الحركة الإصلاحية، ومن كتاب جريدة البصائر أيضًا.
- تعتبر جريدة الأمة من أهم المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة العلاقات بين بلاد المغرب والمشرق العربي وذلك في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

الإشكالية

تعرض الكثير من الدارسين إلى الصحافة العربية الإسلامية ودورها في معالجة القضايا الوطنية الجزائرية مع عدم التركيز على قضايا العالم الإسلامي أو العربي، ومدى مساهمة هذه الصحافة الإصلاحية خاصةً في تمتين الروابط بين أقطار المغرب والمشرق العربيين، ولعل هذه الإشكالية تجرنا إلى طرح التساؤلات التالية:

- بما أن إبراهيم أبو اليقظان قد سخر جريدته الأمة للدفاع عن وحدة الوطن العربي، كما سبق، فكيف تناولت هيئة التحرير هذا الموضوع، وكيف تناوله مَنْ كانوا خارج هيئة التحرير؟ كيف تطور هذا التناول؟ إلى أي مدى تأثر بالمشروعات المطروحة في هذا الميدان؟ وماذا عن العلاقات بين المغرب والمشرق العربي بصورة خاصة؟ وما مدى اهتمام القراء بهذه الجريدة ؟.
- ما مدى مساهمة الصحافة الإصلاحية العربية الحرة في الجزائر في تنشيط هذه العلاقات المغربية المشرقية؟
- ما مدى تأثير جريدة الأمة وتأثرها بقضايا المشرق العربي؟
- كيف عالجت جريدة الأمة قضايا المشرق العربي في فترة ما بين الحربين؟ وما هي أبرز الموضوعات التي اهتمت بها؟
- ما هي القضايا والدول التي كانت أكثر اهتماما بها ؟
- ما علاقة صحافة أبو اليقظان عامة وجريدة الأمة خاصة بموضوع العلاقات بين المغرب والمشرق العربي؟
- ما مدى اهتمام الجريدة بهذه العلاقات؟ هل ساهمت جريدة الأمة في التعريف بقضايا المشرق في بلاد المغرب العربي ؟ ما درجة اطلاع القارئ العربي في الجزائر خصوصًا بما كان يجري من أحداث في المشرق ؟ ولماذا التركيز في المقالات على دول دون الأخرى، وهل استطاعت جريدة الأمة أن تحقق ما يطمح إليه القارئ في المغرب العربي من مواضيع حول المشرق كما فعلت المنار أو الفتح أو الرسالة ...الخ.

خطة البحث

ومن أجل معالجة الإشكالية السابقة والفرضيات فقد اتبعت في ذلك خطة تتلخص في مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة، ويمكن أن نلخص هذه الخطة فيما يلي:

الفصل التمهيدي: وكان بعنوان "**أبو اليقظان وجريدة الأمة**"، فعن شخصية أبي اليقظان تطرقت إلى نشأته وتعليمه ونشاطه الإصلاحي ومؤلفاته ووفاته، وقد ركزت فيه على الجانب الصحفي حيث تطرقت إلى لمحة عامة عن الجانب الصحفي عنده ومساره في ذلك، ثم تطرق الباحث إلى أسلوبه الصحفي وخصائصه على أساس أن البحث اعتمد على الصحافة، كما أبرزت صلاته العربية والإسلامية وصداقاته وبعض ما قيل عنه كشهادات بعد وفاته خاصة. أما فيما يتعلق بجريدة الأمة فقد تكلمت عن نشأة الجريدة وطريقة إخراجها وتطورها والقضايا التي عالجتها، ثم خلصت إلى أهم العقبات والصعوبات التي واجهتها إلى غاية مصادرتها عند العدد (١٧٠) سنة ١٩٣٨، وأنهيت الفصل بملخص عن شخصية الشيخ إبراهيم أبو اليقظان وجريدة الأمة مبينا أهميتها واستحقاقها بأن تكون المصدر الأول لمادة البحث.

الفصل الأول: كان بعنوان "**تطور قضية فلسطين من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٨ من خلال جريدة الأمة**". ففي المبحث الأول تطرق الباحث إلى ثورة ١٩٣٦ بدءً في ذلك بمكانة فلسطين في جريدة الأمة ثم إعلان الثورة ومجريات أحداثها وبعض وقائعها ونتائجها إلى غاية توقيف الإضراب الشامل المصاحب للثورة في السنة نفسها. وفي المبحث الثاني أوردت فيه الإمبريالية البريطانية في فلسطين وضغوطاتها ضد شخصية أمين الحسيني ومحاولة اغتياله وما خلفته من ردود أفعال تجاه نفيه

وتطورات إبعاده عن فلسطين، ثم تعرضت إلى السياسة البريطانية نفسها لكن بعد نفي أمين الحسيني من سياسة دينية تصب في تهويد فلسطين من خلال مخططات انجاز الوطن القومي اليهودي ومواقفها المعادية للمجلس الإسلامي الأعلى في القدس. وفي المبحث الثالث: تناول الباحث نظرة الأمة لمواقف الهيئات العربية المشرقية من قضية فلسطين مثل اللجنة العربية الفلسطينية في القاهرة، واللجنة العربية العُليا في القدس، وموقف المكتب العربي القومي في دمشق، وجمعية الإخوان المسلمين في مصر. أما المبحث الرابع: فتعرض فيه الباحث إلى مشروع التقسيم لسنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٣٨ وجملة المواقف تجاه هذا التقسيم سواء من داخل فلسطين أو خارجها. وفي الأخير ختمت الفصل باستنتاجات عامة عن اهتمام وطريقة معالجة جريدة الأمة لقضية فلسطين وموقف أبي اليقظان المساند تماما لها والداعي إلى الاهتمام بها وفضح كل سياسات الانجليز واليهود.

الفصل الثاني: فقد كان خاصًا بمصر ومختلف قضاياها السياسية والعسكرية والاجتماعية من ١٩٣٤ إلى١٩٣٨. أما أهم القضايا السياسية الخارجية فكانت مرتبطة مع الدول الأجنبية والعربية، أين كان لمصر موقف سياسي خاص من قضية النزاع الإيطالي الحبشي، والخلاف المصري الانجليزي حول عودة العمل بدستور ١٩٢٣ ثم قضية المفاوضات المصرية الانجليزية الرامية إلى توقيع معاهدة الاستقلال والصداقة سنة ١٩٣٧ ومراحل توقيع هذه المعاهدة التي خولت لمصر التمتع باستقلالها وبذلك انضمامها إلى جمعية الأمم. أما العلاقات المصرية مع الدول العربية فقد تطرقت إلى العلاقات مع العربية السعودية (معاهدة الصداقة) ومشروع محمد علي سنة ١٩٣٧ لتوحيد البلاد العربية. أما في المبحث الثاني، فقد خصصه الباحث للتوترات العسكرية موضحًا في ذلك النزاع الإيطالي الحبشي وأثره على الاستعدادات العسكرية المصرية وموقف مصر العسكري من مشكلة إيطاليا والحبشة أين ظهر الاستعداد الانجليزي المصري المتحالف لحرب إيطاليا على الحبشة بغرض إبعاد إيطاليا عن مناطق نفوذ بريطانيا وموقف مصر من الحرب، وختم الباحث الفصل بالحديث عن موقف جريدة الأمة وصاحبها أبو اليقظان من أحداث مصر وتطوراتها أين أشار إلى أن الخلاف القائم بين القصر الملكي وحزب الوفد سببه تدخلات أجنبية في إشارة منه إلى التدخل الانجليزي الهادف إلى خلق الفوضى في مصر بعد الاستقلال كما تأسف عن تراجع مكانة حزب الوفد ،دون أن يتعرض إلى أسباب هذا التراجع.

الفصل الثالث: فكان بعنوان قضايا المشرق العربي الأخرى من (١٩٣٤) إلى (١٩٣٨) أين جاء هذا العنوان بهذا الشكل لأن المادة الخبرية في جريدة الأمة تفرقت هنا على معظم الدول المشرقية عدا فلسطين ومصر اللتان حظيتا بمادة وفيرة. ففي المبحث الأول تناولت قضايا الشام والعراق أين أبرمت معاهدة الاستقلال بين سوريا وفرنسا على غرار المعاهدة المصرية الانجليزية والمؤتمر الطبي بدمشق ذا الطابع السياسي ومعاهدات الوحدة مع منطقة الحجاز في إطار تكتل الأنظمة الملكية، ثم العراق مركزًا على نظامها الملكي وانجازات الحكومة وذلك التوتر الذي كان بين القصر الملكي والجيش وصولاً إلى الانقلاب الحكومي وتعيين سليمان بك رئيسًا للحكومة وقضية التعاون مع الكويت والبحرين. أما الجانب العسكري في العراق، فكان تركيز العراق على بناء الجيش (القوات الجوية) ومساهمة سليمان الباروني في مساعدة الجيش العراقي الذي انحرف عن مهامه وهو ما ساعد على زيادة تأزم الوضع. إضافة إلى قضايا سوريا التي كانت فيها الوحدة مع الطائفة المارونية وإجراء انتخابات برلمانية وتشكيل برلمان جديد ومختلف التطورات التي شهدتها سوريا سنة ١٩٣٦ (عام الثورات والمعاهدات) أين تم تجديد البرلمان السوري والحكومة معًا.

أما قضايا سوريا الخارجية، فكان موقفها من معاهدة الطائف بين ابن السعود والإمام يحي في اليمن، وصولاً إلى العلاقات السورية الفرنسية وكيفية تطبيق السياسة الفرنسية في سوريا من وجهة نظر فرنسية إلى غاية إبرام المعاهدة بين الطرفين والتي تنص على منح الاستقلال (معاهدة الصداقة والتحالف). كما تطرقت إلى العلاقات السورية التركية سنة ١٩٣٧ ودور الجالية السورية في القاهرة وخاصةً في إطار القضية الفلسطينية. أما المبحث الثاني، فكان متعلق بقضايا الحجاز أين كانت المملكة العربية السعودية محل تتبع من قبل جريدة الأمة وصنفت فيها المادة إلى قضايا سياسية وأخرى اقتصادية. فمن جملة القضايا السياسية كانت قضية تعرض الملك عبد العزيز بن سعود إلى محاولة اغتيال وتوترت بموجبها العلاقات مع اليمن بعد التهمة لأشخاص من هذا البلد، كما تعرضت لإنجازات الملك ابن السعود الاجتماعية والعلمية والصحية والمنشآت وزيارته إلى لندن وبعض البلاد العربية بحثًا عن الاعتراف بالكيان السياسي الجديد، ثم عرضت معاهدة السعودية مع العراق، والمعاهدة مع اليمن (معاهدة الطائف) وتجديد المعاهدة مع بريطانيا سنة ١٩٣٦ وهكذا يبدو أن الجريدة ركزت على فترة الملك عبد العزيز بن سعود بشكل كبير.

وتلخصت قضايا السعودية الاقتصادية في ذلك الاتفاق المبرم مع نقابة التعدين بغرض استقلال مناجم السعودية وما خلفه من ردود أفعال موضحة مخاطر ذلك على اقتصاد الدولة. بينما اليمن فقد دار البحث حول احتلال منطقة حضر موت والتنافس الإيطالي البريطاني على اليمن وتدخلات الانجليز الأولى فيها وموقف الشعب اليمني من ذلك. أما عمان، فقد أوردت الجريدة تقريبًا إشارات فقط أين عرضت الصراع القبلي وسياسة السلطان سعيد بن تيمور، أما من الناحية السياسية فقد كان ذلك الصراع السعودي الانجليزي على عمان وبالتركيز على السياسة الخارجية في عهد سعيد بن تيمور.

الفصل الرابع: فقد دار حول قضية الوحدة العربية منطلقا في ذلك من الخلاف التاريخي بين سليمان الباروني وشكيب ارسلان حول وجهة النظر في اتحاد منطقة المغرب العربي مع المشرق، أين حاولت جريدة الأمة التوفيق بين الشخصيتين من خلال مقالات الشيخ إبراهيم بيوض، ثم تطرقت إلى فكرة الوحدة العربية والمواقف الخارجية. كما تعرضت إلى قضايا تضامنية وعربية أخرى مثل وحدة برامج التعليم في المشرق العربي ودورها في إقامة الوحدة العربية واهتمامات دول المشرق بقضايا المغرب مثل التضامن مع الجزائر بعد حوادث قسنطينة سنة ١٩٣٤ وصولاً إلى قضايا الامتيازات في دول الخليج عامة. وختم الفصل بجملة استنتاجات عن قضايا العالم العربي والإسلامي ووجهة نظره إليها وبذلك بين بعده العربي والإسلامي. وختم البحث بخاتمة توصل فيها إلى جملة من الاستنتاجات حول شخصية أبي اليقظان وجريدة الأمة وكيفية علاجها لقضايا المشرق العربي مجيبا بذلك قدر الإمكان عن الإشكال المطروح والمقدمة. ويليها جملة من الملاحق، ثم قائمة المصادر والمراجع وأخيرًا فهرسة الموضوعات.

المنهج المتبع

إن طبيعة الموضوع تتحكم بنسبة كبيرة في نوع المنهج المتبع، وفي هذا البحث فقد اتبعت المنهج التاريخي الاسترادادي عندما تطرقت إلى حياة أبو اليقظان أو العصر الذي عاش فيه، أو أهم المحطات التي مر بها، بغية معرفة العوامل التي ساعدته أو أثرت فيه وفي جانبه الصحفي أو اهتماماته بقضايا المسلمين في المشرق العربي. وعندما تطرقت إلى جريدة الأمة اتبعت المنهج الوصفي (المسحي) قصد إعطاء القارئ صورة وفكرة عن الجريدة دون أن يطلع عليها أو يراها من أعدادها الأولى إلى الأخيرة. أما المنهج الاستقرائي فقد اتبعته عند تحليل أفكار الجريدة ومقارنتها بما كتب في المصادر والمراجع الأخرى وذلك بهدف التوصل إلى استخراج المادة العلمية ثم تبويبها وفهرستها مع شيء من التحليل بغرض إنتاج المعرفة التاريخية من خلال الجريدة، وربما كانت لي هذه هي أصعب مرحلة.

الدراسات السابقة

في إطار عملية جمع المادة العلمية عن الموضوع وقف الباحث على دراسات أكاديمية خاصة بأبي اليقظان لكنها في عمومها تميل إلى الجانب الأدبي في شخصيته أو الجانب الإصلاحي، ولاحظ الباحث نقصًا واضحًا في الدراسات الصحفية الأكاديمية عنه ذات العلاقة بالمشرق العربي، ويمكن القول أن الدكتور محمد ناصر قد برز في كتاباته عن هذا الجانب، ومن بين الدراسات الأكاديمية عن أبي اليقظان أو التي تدور حول اهتماماته بالمشرق نذكر: زغينة محمد، أبو اليقظان ونشره، رسالة دكتوراه دولة، جامعة باتنة.- زكية منزل غرابة، الفكر الإصلاحي عند الشيخ أبي اليقظان، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.- فضيلة ركبة: التشكيل الفني في شعر إبراهيم أبي اليقظان، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة.- وكانت دراسة الدكتور الحاج موسى بن عمر بعنوان، القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام ميزاب ١٩٠٢ – ١٩٦٢ (رسالة دكتوراه) حيث خصص الفصل الثامن لقضايا المشرق العربي. أما الدراسات التي تخدم الموضوع في إطاره العام العربي والإسلامي فنجد دراسات الدكتور مصطفى نويصر الواسعة في مجال الصحافة الداعية الى تحقيق وحدة عربية، وكذلك دراسات الدكتور عويمر مولود في مجال الدراسات الإسلامية، وكلها تخدم الموضوع في حالة توسعه مستقبلاً.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

كان المصدر الرئيس للبحث والذي تدور حوله جميع مراحله هي جريدة الأمة لأبي اليقظان بجميع أعدادها مع الاستعانة ببعض الجرائد والمجلات التي كانت معاصرة لها مثل البصائر والشهاب، ومن هذه المصادر ما يخدم الموضوع مباشرةً مثل كتاب أعلام الإصلاح في الجزائر (ج٣)، ونهضة الجزائر وثورتها المباركة لمحمد علي دبوز حيث استعان بهما الباحث كثيرًا في دراسة حياة إبراهيم أبو اليقظان. بينما جريدة البصائر والشهاب فقد لجات إليهما قصد الاطلاع على مقالات ابن باديس تجاه أبو اليقظان أو جريدة الأمة وتعطيلها إلى جانب كتاب تاريخ الصحافة في الجزائر لمفدي زكريا، وتاريخ الصحافة في الجزائر (ج٦) للزبير سيف الإسلام، وكتاب الشيخ أبو اليقظان كما عرفته لأحمد فرصوص الذي كان كاتبًا وملازمًا للشيخ ابراهيم أبو اليقظان في حياته والذي أعطى تفاصيل جيدة عن مراحل مختلفة من حياته، كما استعان الباحث بمجلة المنهاج للشيخ أطفيش والتي تصدر في القاهرة، ومجلة المنار المجلد رقم (٢٩) ج٦.

أما المصادر التي استعان بها الباحث في توسيع أفق البحث، فنذكر منها كتاب شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز (ج١) لخير الدين الزركلي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في العروة الوثقى، لكن كتمهيد للموضوع والأوضاع التي سبقت فترة البحث بالإضافة إلى كتاب: خمسون عامًا في جزيرة العرب لحافظ وهبة. أما المصادر المعربة، فنذكر منها تاريخ مصر قبل الاحتلال البريطاني وبعده لتيودور رونستين، وكتاب تاريخ الصحافة العربية (ج٤) لدي طرازي وفليب الفيكونت. وكل المصادر المثبتة في القائمة كانت بمثابة دعم للموضوع فقط لأن البحث مصدره محدد وهو جريدة الأمة لأبي اليقظان. وتُعَدّ مؤلفات الدكتور محمد ناصر في الجانب الصحفي لأبي اليقظان مرجعًا أساسيًا مثل كتابه: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، وكان هو منطلق الباحث في معرفة فهرسة الجريدة قبل الاطلاع عليها. وكتابه المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها، الصحف العربية الجزائرية من ١٨٤٧ إلى ١٩٣٩، وإن كان هذا المؤلف

فيما يتعلق بجريدة الأمة يُعَدّ صورة طبق الأصل عن ما جاء في كتاب أبو اليقظان وجهاد الكلمة، كما تم الاعتماد على كتابه أبو اليقظان في الدوريات العربية.

الصعوبات

كأي بحث جامعي لا يخلو من الصعوبات والمعترضة والعراقيل، ولا أريد الكلام هنا عن صعوبات الظروف الشخصية من ظروف العمل والبحث في وقت واحد أو ظروف الأسرة ومتطلباتها أو الإرهاق والسهر وتعب السفر...إلخ، لأنها لو لم تكن هذه العراقيل لما كان اكتمال أي بحث وهي صعوبات مشتركة بين جميع الباحثين. والصعوبات التي أود الكلام عنها هنا هي تلك التي واجهتني في البداية عند البحث عن المصدر (الجريدة) أين وصلت إلى مرحلة إحباط بعد اطلاعي على نسختها الكاملة في المكتبة الوطنية في الجزائر العاصمة والتي كانت على شريط "ميكروفيلم" قد يرجع إلى عهد الاستعمار الفرنسي، والتي كانت صعبة القراءة، وأكثر من هذا بعدما أعلمتني المكلفة بقسم السمعي البصري في المكتبة نفسها بأنه لا يمكن نسخ الجريدة على قرص مضغوط كي يسهل علي العمل في المنزل وتكاد تكون هي الجريدة الوحيدة غير المنسوخة فزادت صعوباتي. ثم علمت أن أعدادها كاملة موجودة في المكتبة الوطنية في باريس (فرنسا) لكن يستحيل التنقل إليها والاطلاع عليها. هنا فكرت في الذهاب الى مدينة القرارة مسقط رأس أبي اليقظان أين أرشدني زملائي إلى معهد الحياة أو دار الإمام أو جمعية التراث في القرارة أين وجدت كل المساعدة. ومن الصعوبات الأخرى بعد توفير الجريدة جاءت مشكلة نقص بعض الأعداد منها على غرار مختلف الجرائد القديمة لكن لحسن الحظ أن هذا النقص كان قليل ولم يكن في مرحلة واحدة وإنما كان عبر فترات وبالتالي فلم يؤثر على الموضوع من حيث تطوره التاريخي. هذا بالإضافة إلى صعوبة استخراج المادة كاملة من الجريدة وفهرستها وتوزيعها على الفصول حيث وقفت عاجزًا أمام إيجاد فصول متوازنة من حيث المادة.

خاتمة

ومما سبق يمكن الوصول إلى استنتاجات عامة حول شخصية أبي اليقظان وجريدته الأمة وكيف عالجت قضية فلسطين والتطور الحاصل في مصر، وباقي القضايا المشرقية الأخرى وعلى الخصوص قضية الوحدة العربية ونظرة هيئة التحرير في الجريدة إليها وموقفها منها. فإبراهيم أبو اليقظان برز في هذه الجريدة -الأمة- كأحد أقطاب الإصلاح الداعي بالعودة إلى أصول الإسلام ومنابعه الحقيقية عن طريق الدعوة، الإرشاد، التوجيه الأخلاقي ومعالجة القضايا الاجتماعية مركزًا على التعليم العربي الإسلامي خارج دوائر السلطات الفرنسية، وهو من المهتمين بالقضايا الوطنية المصيرية التي طالما وجهت رواد الحركة الوطنية الجزائرية إلى جانب شخصيات أخرى مثل ابن باديس أو مصالي الحاج في حزب الشعب، وذلك على غرار موقفه من الوفد الجزائري المنبثق بعد المؤتمر الاسلامي سنة ١٩٣٦ وعليه برز جانب آخر في شخصيته وهو اهتمامه بمصير الجزائر السياسي وحتى دول المشرق العربي أين سجل موقفه المساند لفلسطين في جميع مراحلها ومصر وتطوراتها السياسية بين أعضاء حزب الوفد والقصر الملكي الحاكم.

كما يُعَدّ الشيخ أبي اليقظان أحد أعمدة رجالات الدين سواء في منطقة ميزاب أو الجزائر أو الوطن العربي عامة، أين برز كخطيب وهو الأسلوب الذي غلب على جل مقالاته، مع كونه رجل فكر وثقافة عربية إسلامية فضل الوصول إلى مبتغاه عن طريق إنشاء صحافة تعبر عن همومه وآلامه وآمال كل المسلمين. هذا مع تركيز أبو اليقظان في صحفه على بعض القضايا الاقتصادية التي تخدم منطقته في القرارة أو تخدم الاقتصاد الوطني عمومًا منها كلامه عن الزراعة وعن بعض الأنشطة والحرف والتجارة، وهذا ما يزيد من شمولية شخصيته التي لم تقتصر على الجانب الصحفي فقط، وبهذا أصبح أبا اليقظان شخصية متعددة الجوانب والمواهب وسخر كل وقته وماله وجهده من أجل بناء هذا الوطن وربط أواصر التواصل له مع جسده الكبير في المشرق العربي انطلاقًا من قناعته بضرورة الاهتمام بأمور المسلمين.

ولعل كل هذا قد تجسد في جريدة الأمة التي هي الأخرى كانت انطلاقتها انطلاقة إصلاحية إلى أن وصلت إلى نهاية سياسية أين أصبحت تطرح وتعالج القضايا السياسية منها موقفها المشرف التاريخي مع حزب الشعب الجزائري الذي يمثل التوجه الاستقلالي بقيادة زعيمه مصالي الحاج. وهذا ما يدعم القول بأن جريدة الأمة أصبحت فعلاً منبرًا حرًا للإصلاح والسياسة والاستقلال واستطاعت من خلال هيئة تحريرها أن تحوي هذه المجالات بكل صدق ووفاء في الطرح والمعالجة بواسطة الأقلام التي سخرتها الذائع صيتها وخبرتها الطويلة في مجال الصحافة والحنكة في التعامل وخاصة إذا تعلق الأمر تجاه الإدارة الفرنسية أو القضايا الحساسة وأحيانا كانت تطرحها بكل جرأة وشجاعة.

هذا المنهج الذي اتبعته الأمة لا يخرج عن المنهج الذي رسمه الشيخ أبي اليقظان في صحافته من الأول، فهو نهج جريدة وادي ميزاب التي تُعَدّ الابنة البكر له، مع الإشارة إلى بعض الظروف في بداية حياتها والتي حتمت عليها طابع الاعتدال ومع التطورات الحاصلة أصبحت لها اهتمامات سياسية وفي هذا تتماشى مع فكرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تهدف إلى تحقيق الأهداف السياسية على المدى البعيد، ثم لتظهر من أكبر المدافعين والمناصرين لحزب الشعب الجزائري، ومنه عدت جريدة الأمة من مصادر الحركة الوطنية الجزائرية التي يجب العودة إليها والحفاظ عليها. ولقد كان انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان ١٩٣٦ نقطة تحول في مسار خط

الجريدة أين فتح لها آفاقًا في التقارب مع أنصار الاتجاه الاستقلالي انطلاقًا من حزب الشعب ورفض فكرة الإدماج أو التجنيس من أصلها، واعتبرت أن من وقع فيهما فيُعَدّ خارجًا عن الملة والدين وأوجب التصدي له.

أما من حيث اهتماماتها والقضايا التي عالجتها، فقد كانت جريدة شاملة لجميع القضايا المحلية أو العربية والإسلامية وحتى الدولية وكانت متنفس حقيقي لقرائها سواء في الجزائر أو الدول المجاورة أو الأماكن التي تمكنت من الوصول إليها رغم العراقيل والصعوبات التي اعترضتها. وما يعنينا هنا هو مكانة المشرق العربي في جريدة الأمة وصاحبها إبراهيم أبو اليقظان الذي ربط علاقات وصلات صداقة مع الأقطار العربية والشخصيات الإسلامية.

ومن الواضح أن قضية فلسطين قد شغلت اهتمام الجريدة، حتى أحيانًا يمكن أن نقول عنها أنها جريدة فلسطينية وليست جزائرية، ورغم العراقيل والبعد الجغرافي، إلا أنها كانت في تتبع مستمر لتطورات هذا البلد وهذا ربطا مع ما تمثله فلسطين مع ارتباط روحي وعقائدي للمسلمين عامة، كما حرصت الجريدة على نشر أخبار فلسطين وبيانات اللجنة العربية العليا أو المكتب القومي بدمشق أو اللجنة الفلسطينية في القاهرة، وهذا وفاء منها على المساندة الصحفية وإطلاع قرائها في المغرب العربي على ما يحاك ضدها من مؤامرات يقودها الانجليز واليهود مع تنبيه القراء أن القضية الفلسطينية في جوهرها هي محاولة اليهود تهويدها وطمس معالمها الإسلامية، هذا مع رفضه لترويج الفكرة الدينية حولها وأنها أرض الميعاد...الخ.

وأكدت الجريدة -الأمة- أن المساعدة الانجليزية وسياستها فيها هي السند القوي لليهود في فلسطين ومن دونه فإن اليهود نكرة هناك، وهذا ما فضحته بعض اللجان الخاصة بتقصي الحقائق أو التقييم المبعوثة إليها من قبل الملكية الانجليزية. ونبهت جريدة الأمة إلى الأهداف الحقيقية للجان التقسيم وهي وضع الخطوة الأولى في بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، هذا مع اقتراح أماكن أخرى لبنائه لصرفهم عن الأراضي المقدسة. ونظرًا لكل هذه الغايات لدى هيئة تحرير جريدة الأمة تجاه فلسطين فقد آمنت كل الإيمان بضرورة المساندة والمساعدة للشعب الفلسطيني والقضاء على كل مظاهر التفرقة والخلاف.

وليس بعيدًا عن فلسطين، فقد كانت مصر العربية محل اهتمام وتتبع وتقصي حقائق في جريدة الأمة، لكن بدرجة أقل نوعًا ما مع فلسطين، ومهما قلت هذه الاهتمامات إلا أنها تصنف في خانة التوجه العربي الإسلامي للجريدة وربط أواصر التواصل بين جميع الدول العربية نظرًا لقوة الروابط بين الطرفين. فقد ركزت الجريدة على الاهتمام بقضية الخلاف الذي نشأ بين حزب الوفد المصري والقصر الملكي الحاكم ونبهت أن القضية ليست خلاف (مصري مصري) وإنما هي بفعل فاعل ووجهت أصبع الإشارة إلى الإدارة البريطانية ومناوراتها الهادفة إلى إضعاف مصر وعدم تمكنها من أن تصبح دولة محورية في المنطقة وبالتالي لا تقلقها في فلسطين أو عدم تمكنها من تزعم مشروع وحدوي عربي من شأنه أن يطرد الأجانب عن دول المشرق العربي.

ونبهت الجريدة أن هذه الخلافات من شأنها أن تسيء إلى سمعة مصر الحضارية والتاريخية وتزيد من تراجع دورها الريادي وتحطيم معالم الدولة. ولم تكتف الجريدة بتعقب هذا الخلاف فقط وإنما وجهت النصح للمصريين بالتفطن إلى المؤامرات الخارجية المغرضة وبالتالي ضرورة التفكير في المستقبل السياسي للبلد لأن انهيار مصر هو انهيار لكل المشرق والمغرب العربي والعالم الإسلامي أجمع، كما عبرت الجريدة عن استيائها من الواقع الذي أصبح يشهده حزب الوفد وأصبح في تراجع مستمر وهو أكبر الأحزاب المصرية ومسير برلمانها. وهكذا ناشدت الجريدة كل المصريين بضرورة تجاوز الخلافات والتفكير في عواقبها دون ذكر الأسباب الفعلية لهذا الخلاف حفاظا على تماسك المجتمع المصري ومصر عامة التي يمكنها أن توحد الأقطار العربية. هذه الوحدة العربية أسالت حبرًا كثيرًا في جريدة الأمة بغية تجسيدها أو تجاوز عراقيلها، فدافعت الجريدة عن وحدة أقطار المشرق العربي مع إمكانية الاقتداء بها في المغرب العربي، ووقفت ضد كل تهديدات من شأنها أن تقوض هذه الوحدة ومعالجتها للخلاف التاريخي بين أحد أقطابها وهما سليمان الباروني، وشكيب أرسلان مستخدمة في ذلك الحنكة التي تميز أقلامها حفاظًا على وحدة الصف العربي.

وهكذا أصبحت جريدة الأمة من المدافعين عن وحدة الأقطار العربية وعدم المساس بها مهما زادت أو افتعلت الخلافات، أوضحت الجريدة أن ما يدور حول الدول العربية والإسلامية هو نتيجة حتمية لظاهرة الضعف والتفرقة السياسية التي تمنع قيام الوحدة التي بإمكانها التصدي لكل المحاولات الخارجية. كما فضحت جريدة الأمة كل المؤامرات الخارجية الرامية إلى النيل من وحدة الوطن العربي ونبهت زعماءه إلى ما يُحاك ضدهم، وتوضيح أبعاد هذه المؤامرات. هذا في وقت ناشدت فيه جريدة الأمة الأقطار العربية الإسلامية إلى تحقيق نوع من الوحدة من شأنها تقوية هذه الدول والحفاظ على الكيان السياسي. ومن جهة أخرى كانت لجريدة الأمة اهتمامات بباقي الدول العربية في المشرق على غرار العراق، سوريا اليمن، ولبنان وهي عين أخرى للجريدة على كل دولة عربية مسلمة، كما نددت بمرحلة الضعف التي يمر بها العالم الإسلامي وثارت ضد تخاذل المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وأماكنهم المقدسة أو ثرواتهم الطبيعية.

ومهما يكن من تفاوت في درجة الاهتمام لجريدة الأمة بقضايا المشرق العربي، إلا أنها تؤكد على الانتماء والمصير المشترك بين شطري الوطن العربي وأكدت على الروح والشعور القومي تجاه المشرق العربي في ظل فترة ما بين الحربين التي لم

تكن عادية وسهلة عليهما. ومنه نخلص إلى أن جريدة الأمة لأبي اليقظان قد عالجت قضايا العروبة في المشرق رغم جملة الصعوبات التي ميزت الفترة المدروسة (١٩٣٣-١٩٣٤) ورغم صعوبة الاتصال مع المشرق أو طول فترته، وبذلك بينت أن جرائد المغرب العربي هي أيضًا مهتمة بقضايا المشرق العربي، وهذا الاهتمام المتبادل من شأنه تقوية وتجسير الروابط بين المنطقتين. كما أن هذا البحث فتح أفاقًا جديدة أخرى من جوانب وزوايا متعددة سواء في شخصية أبي اليقظان أو جريدة الأمة.

وتبدو مواضيع كثيرة تستحق الدراسة مستقبلاً منها مثلا: فكرة القومية العربية والإسلامية عند الشيخ أبي اليقظان، فلسطين في اهتمامات صحافة أبي اليقظان، الوحدة العربية في فكر أبي اليقظان، التطور السياسي المصري من خلال جريدة الأمة، الخطاب السجالي بين زعامات المشرق والمغرب العربي... إلخ وغير هذه العناوين كثير.

وهكذا؛ عالجت جريدة الأمة قضايا المشرق العربي بنوع من الاحترافية لبلوغ غايات وهي تحقيق الوحدة والحفاظ على الكيان السياسي العربي، ولعبت دورًا في معالجة هذه القضايا والتنبيه إليها، وعليه قد ساهمت الجريدة في الرقي بالعلاقات الثنائية متأثرة في ذلك بما كان يجري هناك من أحداث وأثرت فيها بأن نورت العقول إلى السياسة الاستعمارية في المشرق وخطورتها على الوحدة العربية، ومنه أمكن القول؛ أن صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان من مصادر تاريخ المشرق العربي أيضًا والتي وجب الاهتمام بها في هذا الاتجاه واستغلالها في ربط ماضي المشرق مع المغرب بالحاضر والتطلع دائمًا إلى بناء كيان واحد.